

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿١٢﴾

[آل عمران].

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ ﴿١﴾ [النساء].

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ ﴿٥﴾ يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٦﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فإن الله عز وجل — " أنزل على عبده الكتاب هدىً وذكرىً لأولي الألباب، وأودعه من العلوم النافعة، والبراهين القاطعة: غاية الحكمة وفصل الخطاب؛ وخصه من الخصائص العلية، واللطائف الخفية، والدلائل الجليلة، والأسرار الربانية، بكل عجب عجاب، وجعله في الطبقة العليا من البيان، حتى أعجز الإنسان والجان، واعترف أرباب اللسان بما تضمنه من الفصاحة والبراعة والبلاغة والإعراب والإغراب؛ ويسر حفظه في الصدور، وضمن حفظه من التبديل والتغيير، فلم يتغير، ولا يتغير على طول الدهور وتوالي الأحقاب؛ وجعله قولاً فصلاً، وحكماً عدلاً، وآيةً بادية، ومعجزةً باقية: يشاهدها من شهد الوحي ومن غاب؛ وتقوم بها الحجة للمؤمن الأواب، على الكافر المرتاب، وهدى الخلق بما شرع

فيه من الأحكام، ويبيّن الحلال والحرام، وعلم من شعائر الإسلام، وصرّف من النواهي والأوامر والمواعظ والزواجر، والبشارة بالثواب، والندارة بالعقاب، وجعل أهل القرآن أهل الله وخاصته، واصطفاهم من عباده، وأورثهم الجنة وحسن المآب^(١).

لهذا أدرك العلماء — قديماً — أن علم القرآن العظيم: هو أرفع العلوم قدراً. وأجلّها خطراً، وأعظمها أجراً، وأشرفها ذكراً؛ مما حدا بهم إلى الاشتغال بخدمة القرآن وتعليمه وتعليمه، فصنّفوا فيه التصانيف المختلفة الأوصاف، المتباينة الأصناف.

فمنهم من قصد إلى رواية الآثار المتعلقة بالآيات الكريمة، ومنهم من صرف عنايته إلى استنباط الأحكام الفقهية، وطائفة اشتغلت ببيان غريبه وإعرابه، وآخرون نقّبوا عن لطائفه ونكاته، فأظهروا بلاغته وروائع بيانه.

ومن هؤلاء الذين لهم الباع الطويل في خدمة التنزيل الإمام القاضي أبو بكر ابن العربي الحافظ، الفقيه، الأصولي، المفسر...

قال تلميذه القاضي عياض عنه: " قيّد الحديث، واتسع في الرواية، وأتقن مسائل الخلاف والأصول والكلام على أئمة هذا الشأن " اهـ.

وقال عنه ابن بشكّو: " الإمام العالم الحافظ، المستبحر ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها، كان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها، والجمع لها، متقدماً في المعارف كلّها، متكلماً في أنواعها ناقداً في جمعها، ثاقب الذهن في تمييز الصواب فيها " اهـ.

وكان التفسير أكبر علم صرف القاضي فيه جهده ووقته في تحرير مسأله، وليس من الغلو في القول إذا قيل: إنَّ جلَّ عطاءه العلمي صرفه إلى التفسير؛ إذ أملى كتابه " أنوار الفجر في مجالس الذكر " الذي يُعدُّ من أكبر الموسوعات العلمية في مجالس التفسير عرفها تاريخ هذا العلم، فقد ذكر القاضي أنّه ألفه في عشرين عاماً، وأنّه يقع في ثمانين مجلداً، كلُّ مجلد يحوي ألف ورقة، أملاه في مجالسه العامة التي كان يعقدها للتذكير والوعظ، فكان كلما فرغ من مقدار منه تناوله تلاميذه فتناسخوه فترق بأيدي الناس.

قال — رحمه الله —: " وقد كنّا أملينا فيه (التفسير) في كتاب "أنوار الفجر" في عشرين عاماً ثمانين ألف ورقة، وتفرقت بين أيدي الناس، وحصل عند كل طائفة منها فن،

(١) من مقدمة الإمام ابن جزري لكتابه التسهيل ص/ ٢

وقد ندبتهم إلى أن يجمعوا منها ولو عشرين ألفاً، وهي أصولها التي ينبني عليها سواها، وينظمها على علوم القرآن الثلاثة: التوحيد، الأحكام، التذكير؛ إذ لا تخلو آية منه بل حَرَفٌ عن هذه الأقسام الثلاثة."

وخصَّ الأحكام من بين علوم القرآن بهذا الكتاب الذي قلَّ أن ترى العينُ مثله في نسجه وإحكامه كما قال الذهبي: "وفسَّر القرآن المجيد فأتى بكل بديع" اهـ. هذا، وإنَّ من المباحث التي تسترعي الانتباه: ما يقوم به القاضي — رحمه الله — من مناقشات لبعض المعاني المختلفة، والاستنباطات المتباينة في أي الذكر الحكيم، وترجيح ما يراه راجحاً؛ لذا صحَّ مني العزم على أن يكون موضوعُ بحثي؛ لنيل درجة العالمية العالية "الدكتوراه" تلك المسائل التي للقاضي فيها مذهب ظاهرٌ وأسميته:

ترجيحات الإمام ابن العربي في كتابه أحكام القرآن عرضاً ودراسةً

من سورة المائدة إلى آخر الآية (٣٤) من سورة التوبة

مشاركةً مني في البحث الذي قام به الزميل الشيخ / محمد سيدي عبد القادر في هذا الموضوع.

أسباب الاختيار

الدوافع إلى اختيار هذا الموضوع كثيرة منها:

١- أهمية الموضوع؛ وذلك أنَّه قد كثرت المؤلفات في التفسير بيد أن الذين اهتموا بذكر الراجح قلة قليلة، ومن هؤلاء القاضي ابن العربي — رحمه الله — في كتابه (أحكام القرآن).

٢- مكانة مؤلف الكتاب؛ فهو إمام مفسر، محدث، فقيه، أصولي، لغوي، أديب، ناقد، ويشهد لتضلعه بتلك العلوم كتابه هذا، كما يشهد بذلك المترجمون له. فهذه الكفاءة تكسب الترجيح قوة.

٣- مكانة الكتاب وقيمته العلمية بين كتب التفسير عامة، وكتب الأحكام خاصة. ويتلخص ذلك في وجوه:

أحدها: كونه أحد المصنفات الكبار في هذا اللون من التفسير (التفسير الأحكامي).
ثانيها: جودة عرض المؤلف لمادته؛ إذ يذكر الآية، ويقسم الكلام عنها إلى مسائل عدة، مضمناً كل مسألة ما فيها من أقوال، ثم يقوم بنخلها^(٢) وتنقيحها^(٣) — أحياناً — ويرجح ما يراه راجحاً في الأعم الأغلب.
ثالثها: أنه إلى جانب بيانه لآيات الأحكام يذكر أسباب النزول، والأحاديث المرفوعة في معاني الآيات، والأحكام ذات الصلة بالآي — تصحيحاً وتضعيفاً — والناسخ والمنسوخ، والمسائل اللغوية، والأصولية، إلى غير ذلك من العلوم التي لها مساس بالآيات التي تناولها تفسيراً.

٤- البحث عن معرفة الراجح في معاني الكتاب العزيز وأحكامه من أهم مقاصد تحصيل العلم الشرعي، لذا كان الاشتغال به من أوجب الواجبات على طالب العلم.
٥- هذا الموضوع يمثل لونا من ألوان التفسير، وهو المسمى بـ "التفسير المقارن" الذي يعرض النصوص والآراء، ويوازن بينها، ويبين الراجح ويرد المرجوح.
٦- كما أنه يسهم كثيراً في تحقيق القول الصواب في كثير من المسائل المختلف فيها في المعاني والأحكام، فعندما نطالع كتب التفسير والأحكام نجد حشداً كبيراً من الأقوال؛ منها الصحيح، ومنها الضعيف الذي لا دليل عليه، أو لا دلالة عليه فيما يذكر دليلاً له.
٧- كما أن هذه الدراسة تكشف عن وجوه الخطأ في الأقوال المرجوحة بطريقة علمية دقيقة، وتبرز المنهج الأمثل في مجال الترجيح.

(٢) مادة (نخل) تدل على انتقاء الشيء واختياره، ومنه يقال: نخل الشيء وانتخله؛ أي استقصاه حتى أخذ أفضله. ينظر: مقاييس اللغة ٤٠٧/٥، مختار الصحاح ص/٦٥١

(٣) مادة (نقيح) تدل على تنقيح شيء عن شيء، ومنه يقال: شجر منقح أي مهذب، وملقى عنه ما لا يصلح فيه. ينظر: مقاييس اللغة ٤٦٧/٥، مختار الصحاح ص/٦٧٥

٨- تتيح هذه الدراسة للباحث الوقوف على كم كثير من كتب التفسير والحديث والفقهاء والأصول واللغة تبعاً لتنوع المسائل التي يعرض لها القاضي، مما يكسب الطالب توسعاً في المعارف الإسلامية.

٩- إن المؤلف - رحمه الله - قد يرجح أحياناً بعض الأقوال دون أن يذكر دليلاً، مما يجعل الكشف عن ذلك المرجح - باسم الفاعل - تكميلاً لمقصود الكتاب.

١٠- كما أنه يرد أحياناً القول المرجوح دون بيان مُسوِّغ الرد، مما يجعل الإفصاح عن علة الضعف متطلباً علمياً.

خطة البحث

اقتضت طبيعة الموضوع أن تكون خطته على مقدمة وقسمين وخاتمة وفهارس.

المقدمة: وفيها:

أ - التنويه بالقرآن الكريم.

ب - أسباب اختيار الموضوع.

ج - خطة البحث.

د - المنهج في كتابة هذا البحث.

هـ - التعريف بالمصطلحات الواردة في الرسالة.

و - شكر وتقدير.

القسم الأول: ترجمة موجزة للإمام ابن العربي، مع دراسة منهجه في الترجيح،

ومصادره في مسأله، وذكر من أفادوا منه وتأثروا به.

وتحتة ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في ترجمة موجزة عنه، وفيه مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

المبحث الثاني: مولده ونشأته.

المبحث الثالث: حياته العلمية ورحلاته.

المبحث الرابع: أشهر شيوخه.

المبحث الخامس: أشهر تلاميذه.

المبحث السادس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المبحث السابع: منهجه العقدي.

المبحث الثامن: أشهر مؤلفاته.

المبحث التاسع: وفاته.

الفصل الثاني: في دراسة منهجه في الترجيح، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الترجيح.

المبحث الثاني: ألفاظ الترجيح وأساليبه عند القاضي ابن العربي.

المبحث الثالث: قواعد الترجيح التي أخذ بها القاضي في مسأله مع ذكر نماذج لذلك.

الفصل الثالث: في ذكر مصادره ومن أفادوا منه وتأثروا به، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مصادره في مسأله.

المبحث الثاني: من أفادوا منه وتأثروا به.

القسم الثاني: في عرض المسائل التي وقع فيها الترجيح من خلال كتابه (أحكام

القرآن) ودراستها وتحليلها مرتبةً حسب ترتيب القرآن الكريم من سورة المائدة إلى آخر

الآية (٣٤) من سورة التوبة. كما يلي:

١- سورة المائدة.

٢- سورة الأنعام.

٣- سورة الأعراف.

٤- سورة الأنفال.

٥- سورة التوبة.

الخاتمة: وذكرت فيها أهم النتائج التي تمخض عنها البحث.

الفهارس: وضعت بعض الفهارس العلمية تسهيلاً للاستفادة من محتويات الرسالة،

وهي:

- ١- فهرس الآيات القرآنية.
- ٢- فهرس الأحاديث والآثار.
- ٣- فهرس الأعلام.
- ٤- فهرس الأماكن والبلدان.
- ٥- فهرس الأشعار.
- ٦- فهرس الغريب.
- ٧- فهرس المصادر والمراجع.
- ٨- فهرس الموضوعات.